

A

الأمم المتحدة

Distr.
GENERAL

الجمعية العامة



A/HRC/6/6
21 August 2007

ARABIC
Original: ENGLISH

مجلس حقوق الإنسان
الدورة السادسة
البند ٩ من جدول الأعمال المؤقت

العنصرية والتمييز العنصري وكره الأجانب وما يتصل بذلك من أشكال التعصب: متابعة وتنفيذ إعلان وبرنامج عمل ديربان

التقرير المقدم من دودو دين، المقرر الخاص المعني بالأشكال المعاصرة للعنصرية والتمييز العنصري وكره الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب، عن مظاهر تشويه صورة الأديان، وبخاصة عمّا يترتب على كراهية الإسلام من آثار خطيرة على التمتع بالحقوق كافة

موجز

يُقدّم هذا التقرير عملاً بقرار مجلس حقوق الإنسان ٩/٤ المعنون "تشويه صورة الأديان" الذي دعا فيه المجلس المقرر الخاص المعني بالأشكال المعاصرة للعنصرية والتمييز العنصري وكره الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب إلى تقديم تقرير إلى المجلس في دورته السادسة عن جميع مظاهر تشويه صورة الأديان، وبخاصة عمّا يترتب على كراهية الإسلام من آثار خطيرة على التمتع بالحقوق كافة.

ووفقاً لطلب المجلس هذا، يُركّز المقرر الخاص في هذا التقرير، الذي ينبغي أن يُقرأ مقترناً بتقاريره السابقة عن هذه المسألة، على ظاهرة كراهية الإسلام. إلا أنه يود أن يوضح أن هذا التركيز لا يعني الأخذ بأي ترتيب هرمي لتناول مسألة أشكال التمييز ضد شتى الأديان. وكما عبّر المقرر الخاص عن ذلك في تقاريره السابقة، فإن الاستراتيجيات الرامية إلى مكافحة معاداة السامية وكراهية المسيحية وكراهية الإسلام ينبغي أن تعزز معاملة ظواهر الكراهية والعداء هذه معاملة متساوية وبالتالي تجنب القيام، في سياق جهود مكافحة التمييز، بمجموع أشكاله، بإعطاء أية أولوية لأي شكل منها على الأشكال الأخرى.

ويتضمن الفصل الأول من هذا التقرير تحليلاً للاتجاه المتزايد لتشويه صورة الأديان والعوامل التي تكمن خلفه، ولا سيما في السياق الذي تُبرّر فيه انتهاكات حقوق الإنسان بوصفها تدابير ترمي إلى مكافحة الإرهاب وحماية الأمن القومي والحفاظ على الهوية الوطنية. ويُركّز الفصل الثاني على ظاهرة تشويه صورة الأديان وتجلياتها المختلفة في السياق السياسي والإيديولوجي الراهن الذي تهيمن عليه مكافحة الإرهاب وتختلط فيه عوامل العرق والثقافة والدين. كما يتضمن هذا الفصل من التقرير تحليلاً لأشكال محددة من التمييز القائم على أساس الدين، بما في ذلك كراهية الإسلام ومظاهرها - وبخاصة في أعقاب الأحداث التي وقعت في ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ - ومعاداة السامية، وكراهية المسيحية، والتمييز ضد التقاليد والممارسات الدينية والروحية الأخرى. ويسعى المقرر الخاص، في الفصل الثالث من التقرير، إلى توضيح العلاقة الجدلية بين خصوصية كل شكل من أشكال التمييز هذه والطابع العالمي للجهود الرامية إلى مكافحة العنصرية والتمييز العنصري وكره الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب. ويُبيّن الفصل الرابع بعض أهم المبادرات المتخذة للتصدي لظاهرة تشويه صورة الأديان. أما الفصل الخامس فيتضمن استنتاجات المقرر الخاص وتوصياته.

ويدعو المقرر الخاص، بصفة خاصة، إلى التزام القادة السياسيين والمثقفين التزاماً معززاً بأن يرفضوا ويدينوا بقوة أي مظهر من مظاهر البغضاء وكره الأجانب، وبخاصة تلك التي تتضمنها الطروحات السياسية التي تنطوي على العنصرية وكره الأجانب في برامج الأحزاب الديمقراطية والائتلافات الحكومية التي تُمكن مروجي هذه الطروحات من تنفيذ مخططاتهم تحت ستار من الشرعية الديمقراطية. كما أن الدول الأعضاء مدعوة أيضاً لأن تدمج، في سياساتها الوطنية، ضرورة تشجيع الحوار بين الثقافات والأديان، ولأن تتجنب تلك السياسات والمواقف والتصريحات التي تستلهم مفهوم صراع الحضارات الذي يؤدي إلى الفرقة والانقسام. وبالإضافة إلى ذلك، وبالنظر إلى التحدي الذي يثيره الاستغلال المتزايد لحرية التعبير من قبل جماعات يمينية متطرفة، يدعو المقرر الخاص جميع الهيئات المعنية إلى التأمل مجدداً في مسألة ضرورة تحقيق التوازن والتكامل بين حرية التعبير وحرية الدين.

وأخيراً، يوصي المقرر الخاص باعتماد نُهج لتشجيع الحوار بين الثقافات والحضارات والأديان تأخذ في الاعتبار ما يلي:

(أ) الحاجة إلى معاملة مكافحة لجميع أشكال تشويه صورة الأديان معاملة متساوية، ومن ثم تجنب أي ترتيب هرمي لأولويات تناول أشكال التمييز هذه، رغم أن خصوصيات هذه الأشكال وحدّتها قد تتفاوت تبعاً لاعتبارات التاريخ والجغرافيا والثقافة؛

(ب) العمق التاريخي والثقافي لجميع أشكال تشويه صورة الأديان، وبالتالي الحاجة إلى تكملة الاستراتيجيات القانونية باستراتيجية فكرية وأخلاقية تأخذ في الاعتبار العمليات والآليات والطروحات التي شكّلت الأسباب الجذرية لأشكال التمييز هذه على مر الزمن؛

(ج) الصلة الأساسية بين الطابع الروحي والتاريخي والثقافي الفريد لكل شكل من أشكال تشويه صورة الأديان، والطابع العام للأسباب التي تكمن خلفها؛

(د) هئية الظروف التي تيسّر اللقاء والحوار والعمل المشترك من أجل الوئام الاجتماعي والسلام وحقوق الإنسان والتنمية، ومكافحة جميع أشكال العنصرية والتمييز وكرهية جميع الأديان والتقاليد الروحية.

المحتويات

الصفحة	الفقرات	
٥	٤-١مقدمة
٥	٨-٥ أولاً - السياق السياسي والإيديولوجي الراهن
٦	٥٧-٩ ثانياً - أشكال التمييز الديني
٨	٣٦-١٥ ألف - ظاهرة كراهية الإسلام
١٣	٤٤-٣٧ باء - معاداة السامية
١٥	٥٠-٤٥ جيم - ظاهرة كراهية المسيحية
١٦	٥٧-٥١ دال - أشكال أخرى للتمييز القائم على أساس الدين
١٨	٦٢-٥٨ ثالثاً - الطابع العالمي لجهود مكافحة التمييز
١٩	٧٢-٦٣ رابعاً - المبادرات الرامية إلى تعزيز التسامح
٢٢	٨٠-٧٣ خامساً - التوصيات

مقدمة

١- يُقدّم هذا التقرير عملاً بقرار مجلس حقوق الإنسان ٩/٤ المعنون "مكافحة تشويه صورة الأديان" الذي دعا فيه المجلس المقرر الخاص المعني بالأشكال المعاصرة للعنصرية والتمييز العنصري وكره الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب إلى تقديم تقرير إلى المجلس في دورته السادسة عن جميع مظاهر تشويه صورة الأديان، وبخاصة عملاً يترتب على ظاهرة كراهية الإسلام من آثار خطيرة على التمتع بالحقوق كافة.

٢- وينبغي قراءة هذا التقرير مقترناً بالتقارير السابقة التي قدمها المقرر الخاص إلى مجلس حقوق الإنسان وإلى لجنة حقوق الإنسان السابقة، وبخاصة التقرير الذي قدمه المقرر الخاص إلى مجلس حقوق الإنسان بالاشتراك مع المقررة الخاصة المعنية بحرية الدين أو المعتقد بشأن "التحريض على الكراهية العنصرية والدينية" (A/HRC/2/3)، والتقارير المقدمة إلى لجنة حقوق الإنسان عن "حالة الشعوب الإسلامية والعربية في مختلف أنحاء العالم، مع الاهتمام بصورة خاصة بما تتعرض له أماكن عبادتها ومراكزها الثقافية ومنشآتها التجارية وممتلكاتها من اعتداءات مادية، وهجمات في أعقاب أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١" (E/CN.4/2003/23 و E/CN.4/2005/19 و E/CN.4/2006/17)، والتقرير المقدم عن "تشويه صورة الأديان والجهود العالمية لمكافحة العنصرية: معاداة السامية، وكره المسيحية، وكره الإسلام" (E/CN.4/2005/18/Add.4).

٣- وعملاً بطلب مجلس حقوق الإنسان، سوف يُركّز المقرر الخاص على ظاهرة كراهية الإسلام. إلا أنه يود أن يوضح أن هذا التركيز لا يعني بالضرورة الأخذ بأي ترتيب هرمي في تناول مسألة التمييز ضد مختلف الأديان. وكما ذكر المقرر الخاص في تقاريره السابقة، فإن الاستراتيجيات الرامية إلى مكافحة معاداة السامية وكراهية المسيحية وكراهية الإسلام ينبغي أن تعامل هذه الظواهر معاملة متساوية وأن تتجنب أي تحديد للأولويات في الجهود الرامية إلى مكافحة جميع أشكال التمييز.

٤- ويتضمن الفصل الأول من التقرير تحليلاً لظاهرة تشويه صورة الأديان وأشكالها المختلفة في السياق السياسي والإيديولوجي الراهن. ويركز الفصل الثاني من التقرير على التمييز القائم على أساس الدين بصفة خاصة، بما في ذلك ظاهرة كراهية الإسلام بجميع تجلياتها، وبخاصة في أعقاب الأحداث التي وقعت في ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، ومعاداة السامية، وكراهية المسيحية، والتمييز ضد التقاليد والممارسات الدينية والروحية الأخرى. ويسعى المقرر الخاص، في الفصل الثالث من التقرير، إلى توضيح العلاقة الجدلية بين خصوصية كل شكل من أشكال التمييز هذه والطابع العالمي للجهود الرامية إلى مكافحة العنصرية والتمييز العنصري وكره الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب. ويتضمن الفصل الرابع بعض أهم المبادرات الرامية إلى التصدي لظاهرة تشويه صورة الأديان. أما الفصل الخامس فيتضمن استنتاجات المقرر الخاص وتوصياته.

أولاً - السياق السياسي والإيديولوجي الراهن

٥- إن تحليل الاتجاه المتزايد نحو تشويه صورة الأديان لا يمكن أن ينفصل عن التأمل العميق في الاتجاهات المشؤومة للعنصرية والتمييز العنصري وكره الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب، وهي اتجاهات أخذت تتزايد في السياق السياسي والإيديولوجي الراهن.

٦- وفي إطار مكافحة العنصرية، هناك عدة عوامل رئيسية تجعل من الضروري إيلاء أولوية عالية للموجة المتصاعدة من التحريض على الكراهية العنصرية والدينية. فعلى المستوى السياسي، ينشأ العامل الرئيسي عن التقليل من خطورة العنصرية وكره الأجنبي من خلال استغلالهما كأداة لأغراض سياسية وانتخابية، وهو ما ينعكس في الانتشار الواسع للطروحات العنصرية والمعادية للأجانب في برامج الأحزاب الديمقراطية والائتلافات الحكومية التي تمكن مروجيها من الجماعات اليمينية والقومية المتطرفة من تنفيذ مخططاتهم تحت ستار من الشرعية الديمقراطية. وكنيجة مباشرة لذلك، أصبح هناك عدد متزايد من الأحزاب المعروفة عادة بأنها أحزاب ديمقراطية والتي أخذت تلجأ إلى استخدام خطاب الخوف والإقصاء، متخذة ككبح فداء ومستهدفة الأقليات الإثنية أو الدينية بصورة عامة، والمهاجرين واللاجئين على وجه الخصوص، من أجل الاحتفاظ بالسلطة السياسية أو اكتسابها.

٧- وعلى المستوى الإيديولوجي، أخذ مفهوم الاعتقاد "المانوي" بصراع الحضارات والأديان ينتشر على نحو متزايد في فكر وخطاب النخب السياسية والفكرية والإعلامية، وبخاصة في سياق دولي تهيمن عليه الأولوية الممنوحة لمكافحة الإرهاب. وتتجلى هذه العملية في عدم قبول التنوع والرفض العقائدي المتعددة الثقافية، والدفاع عن هوية تقوم على أساس "قيم" لا يمكن إدراكها، كما تتجلى في الخلط بين العوامل العرقية والثقافية والدينية. ويتيسر التمييز ضد الطوائف الدينية وأفرادها في ظل بيئة تُحتقر فيها الأديان والعقائد أو يشهر بها من خلال استخدام خطاب فكري و/أو سياسي يتعمد نعتها بالشر.

٨- وهذا السياق الإيديولوجي يؤثر تأثيراً كبيراً في تفسير وإعمال حقوق الإنسان. فقد اعتمدت الحكومات، بنسبة معلنة تمثل في الحفاظ على الأمن القومي، عدداً من السياسات التي أدت فعلياً إلى تقييد أو تجاهل الحقوق المدنية والسياسية، مُركزة فقط على تلك الحقوق الأكثر توافقاً مع غاياتها السياسية الراهنة. وبالمثل، فإن الحقوق الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وبخاصة تلك التي تكفل حقوق الأقليات والمهاجرين والأجانب، قد انتهكت أو هُمشت على نحو مُتعمد بذريعة حماية الهوية الوطنية. ووفقاً لمنطق ضمني يقوم على مفهوم صراع الحضارات، لجأت الحكومات والقيادات السياسية والثقفون ووسائل الإعلام إلى تحويل حرية التعبير وحرية الدين إلى حريتين متعارضتين على نحو جذري، مع الاستبعاد التام لتكاملهما وللقيد والحدود الرئيسية التي تقترن بممارسة هذين الحقين، كما صيغت بعناية في الصكوك الدولية ذات الصلة.

ثانياً - أشكال التمييز الديني

٩- يتخذ التمييز الديني، في أحيان كثيرة، شكل العنف الإيديولوجي. وهو عنف تُشجعه النخب والأوساط السياسية ووسائل الإعلام التي تتبنى موقفاً فكرياً معيناً يهيئ عامة الجمهور مسبقاً لقبول التمييز ضد طائفة دينية معينة. ورغم أن هذا الموقف الفكري يشير عموماً إلى حق التعبير المشروع عن الأفكار، فإنه يفضي إلى نشوء بيئة إيديولوجية يُسوَّغ فيها وجود وشرعية أعمال العنف المادية. وبصفة خاصة، يتزع دور "إضفاء الشرعية" الذي يؤديه العنف الفكري إلى تشجيع التقليل من شأن التمييز وقد يفضي إلى ظهور أشكال أخرى من التمييز مثل إضفاء الطابع المؤسسي على الممارسات التمييزية، وممارسة العنف البدني ضد معتنقي الأديان، والاعتداءات على أماكن العبادة الخاصة بهم وعلى ثقافتهم وكذلك، بشكل متزايد، على رموزهم الدينية.

١٠- ويجري أحياناً "تقنين" العنف الإيديولوجي في إطار قواعد مدونة أو غير مدونة وأنماط سلوك تؤدي فعلياً إلى التمييز الاجتماعي وإلى فرض قيود على الحرية الدينية. فيلى جانب التشريعات التي تتسم بطابع تمييزي على نحو متزايد وصريح، هناك عدد من الممارسات التي تجعل من التمتع الكامل بالحرية الدينية أمراً أكثر صعوبة، مثل الحواجز التي تعوق إنشاء أماكن العبادة واستخدام الرموز الدينية. ويشكل التمييز "المُقنّن" هذا عقبة رئيسية تواجهها الأقليات الدينية في شتى البلدان، وهو ينعكس في انتهاج سياسات مثل الإجراءات التمييزية لتسجيل الطوائف الدينية لدى سلطات الدولة، وفرض قيود معينة على حرية نشر النصوص الدينية، أو فرض حظر صريح على ممارسة شعائر ديانات الأقليات.

١١- وأخيراً، ثمة شكل ثالث من أشكال التمييز الديني يتعلق بحالات العنف المادي. وهذه تشمل أفعالاً عدوانية فردية تتألف من حوادث معزولة وتُرتكب في الغالب من قبل جماعات متطرفة أو أشخاص متطرفين. إلا أن هذه الأفعال الفردية تعكس، في عدد من الحالات، السياق الإيديولوجي القائم، وبخاصة عندما تكون هناك أشكال أخرى من التمييز قائمة، بما في ذلك الممارسات التمييزية "المُقنّنة". وعلاوة على ذلك، فإن العنف المادي قد يفضي أيضاً إلى عنف ديني واسع النطاق مثل ارتكاب المجازر والمذابح الفظيعة.

١٢- وهذه الأشكال من التعبير عن الكراهية الدينية هي أشكال لا يستبعد الواحد منها الآخر، بل إنها تمثل أوجهاً مختلفة لظاهرة عامة. ففي معظم حالات الكراهية والتمييز الدينيين، يُعزز كل شكل من أشكال التمييز هذه الأشكال الأخرى بحيث تتشكل تلك الحلقة المفرغة للتمييز والعنف التي يمكن ملاحظتها في مختلف أوضاع الصراع في شتى أنحاء العالم.

١٣- وعلى الرغم من أن المفاهيم والأمثلة المذكورة في الفقرات الواردة أدناه تتصل بمسألة التمييز عموماً، فإن التركيز بصورة خاصة على تشويه صورة الأديان بحد ذاته هو أمر أساسي لتحليل مسألة التمييز الديني. فهذا التشويه يوفّر التبرير الفكري والخطاب المصوغ بصيغة الشرعية والذي يدعم جميع أشكال التمييز. فبدونه لا يمكن للعنف "المُقنّن" والمادي أن يستمر. وعندما يقترن الخطاب التشويهي بتوفر ظروف تمكينية سياسية وفكرية وإعلامية، بما في ذلك ظروف الإقصاء الاجتماعي - الاقتصادي للأقليات الدينية، تكون له أصدائه في المجتمع ويكتسب قوة. وبالتالي فإن مكافحة التمييز الديني عموماً تتطلب تركيزاً قوياً على الوقاية من النتائج المباشرة وغير المباشرة لتشويه صورة الأديان، بما في ذلك دوره في إضفاء الشرعية على الخطاب العنصري والتمييزي.

١٤- وفي حين أنه من الصحيح أن أفعال تشويه صورة الأديان شائعة في مختلف مناطق العالم، فإن كل فعل من هذه الأفعال له خصوصيته المحددة. وفي الفروع التالية من هذا التقرير، يلقي المقرر الخاص نظرة عامة على ظاهرة تشويه صورة الأديان ويبحث مختلف أشكالها، بما في ذلك ظواهر كراهية الإسلام، ومعاداة السامية، وكراهية المسيحية. وبعد تحليل هذه الأشكال الخاصة من التمييز الديني، يعود المقرر الخاص إلى تناول مسألة الطابع العالمي لمكافحة التمييز.

ألف - ظاهرة كراهية الإسلام

١٥- إن كراهية الإسلام قد شكَّلت ظاهرة متنامية مثيرة للقلق في أعقاب الأحداث التي وقعت في ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١. وقد أسهمت حالة عدم الاستقرار المستمرة في الشرق الأوسط عموماً، وبخاصة في العراق، والصراع الإسرائيلي - الفلسطيني، بالإضافة إلى الحرب العالمية على الإرهاب، في تصاعد ظاهرة كراهية الإسلام. وفي إطار التعبير النمطي عن ظاهرة كراهية الإسلام، يُنظر إلى المسلمين بوصفهم معارضين لما يسمى القيم الغربية، وكثيراً ما يُصوِّرون كأعداء وكخطر يهدد القيم الوطنية والتماسك الاجتماعي. ويترتب على ذلك خطاب يؤدي في حالات كثيرة إلى إقناع المسلمين الذين يعيشون في الخارج بأن "ينصهروا" في بوتقة الثقافات المحلية، حيث يُطلب منهم، بصورة ضمنية أو صريحة، التخلي عن تراثهم الثقافي والديني بل وحتى عن هويتهم المميزة.

١٦- وهذه الاتجاهات، بالإضافة إلى المناخ العام من مواقف الريبة المنهجية والواسعة الانتشار ضد المسلمين، تفضي إلى جميع أنواع التمييز والتعصب التي تتراوح بين أفعال فردية كالإساءات اللفظية العدوانية والتعبيرات التمييزية، وبين العنف المادي والتمييز "المُقنَّن" عموماً، بما في ذلك الحواجز التي تعترض سبيل الحصول على قدر كاف من خدمات الإسكان والتعليم والعمل، بالإضافة إلى ظاهرة التمييز العنصري عموماً. وفي مجال حرية الدين أو المعتقد، يلاحظ أن المسلمين يواجهون في بعض المناطق، وبخاصة في أوروبا، صعوبات متزايدة في إنشاء دور العبادة وممارسة شعائرهم الدينية (مثل تلك المتصلة بالنظم الغذائية ومراسم الدفن وما إلى ذلك). وفي هذا السياق، انضمت الأحزاب السياسية التي تتبنى برامج صريحة معادية للإسلام إلى الائتلافات الحكومية في عدة بلدان وبدأت تعمل على تنفيذ مخططاتها السياسية. وخلاصة القول إن ظاهرة كراهية الإسلام قد أخذت تتسرب إلى جميع أوجه الحياة الاجتماعية.

١٧- وبالتالي فإن تصاعد ظاهرة كراهية الإسلام يزيد من احتمالات الاضطراب الاجتماعي وكما أن له تداعيات اقتصادية وقانونية بالنسبة لأولئك المتأثرين بهذه الظاهرة. وينبغي للمرء أن يلاحظ، بصفة خاصة، كيف يمكن لظاهرة كراهية الإسلام أن تفضي إلى ظهور حلقة مفرغة يتزايد فيها الإقصاء، مما يؤدي إلى تزايد التطرف في نهاية المطاف. ويؤدي استمرار هذه الظاهرة إلى شعور بالدونية الثقافية والضعف الاجتماعي في صفوف المسلمين الشبان الذين يمكن أن يصبحوا مُهمَّشين وأكثر عرضة للتأثر بجماعات يبدو أنها توفر لهم ما يعيد تأكيد هويتهم والاعتزاز بأنفسهم. كما أن الممارسات المنتظمة والاعتيادية لإقامة الشعائر الدينية وأشكال التعبير عن الإيمان التي تُمارَس على نطاق أوسع والتي تُعد ضرورية لإجراء حوار فعال بين الثقافات، تواجه قدراً أكبر من الصعوبة في العديد من المجتمعات والبلدان، مما يفضي حتى إلى مزيد من التمييز ضدها.

١٨- وفي هذا الفرع من التقرير، يستند المقرر الخاص إلى المحاولات السابقة الرامية إلى التوصل إلى تصور مفاهيمي للأسباب التي تكمن خلف ظاهرة كراهية الإسلام وشرح هذه الأسباب، مع معالجة مظاهرها الحالية وطرح حلول ممكنة وتقديم توصيات في هذا الشأن. وفي هذا التقرير، سيركز المقرر الخاص، بصفة خاصة، على الأشكال الحالية للتعبير عن كراهية الإسلام، محاولاً التركيز على كيفية ارتباطها بالعمليات الاجتماعية والفكرية العامة التي تفضي إلى قبول العنصرية والتمييز وإضفاء الشرعية عليهما.

١- تعريف ظاهرة كراهية الإسلام

١٩- اقترح المقرر الخاص التعريف التالي لظاهرة كراهية الإسلام في تقريره عن تشويه صورة الأديان ومكافحة العنصرية على نطاق العالم (E/CN.4/2005/18/Add.4، الفقرة ١٣)، المقدم إلى لجنة حقوق الإنسان في عام ٢٠٠٤:

"يشير مصطلح "كره الإسلام" إلى عدااء للإسلام وخوف منه بلا أساس، وبالتالي إلى خوف ونفور من المسلمين أو من غالبيتهم. كما أنه يشير إلى النتائج العملية لهذا العدااء من حيث التمييز والتحيز واللامساواة في المعاملة التي يقع المسلمون (فرادى وجماعات) ضحايا لها، ومن حيث إقصاؤهم عن المجالات السياسية والاجتماعية الرئيسية. وقد استُنبط هذا المصطلح استجابة لواقع جديد: تزايد التمييز ضد المسلمين الذي تجلّى في السنوات الأخيرة".

٢٠- وبالرغم من أن مفهوم ظاهرة كراهية الإسلام هو مفهوم حديث، فإن ممارسته ليست جديدة بل إنها تعود إلى المواجهات الأولى بين الإسلام وغيره من الأديان كما تتجلى تاريخياً في أحداث كالحروب الصليبية. إلا أن ظاهرة كراهية الإسلام قد اتخذت بسرعة أشكالاً جديدة بعد سلسلة الأحداث التي أعقبت ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١. وفي حين أن الدين كان القوة الدافعة لظاهرة كراهية الإسلام في القرون الماضية، يبدو أن التحد السياسي قد أخذ يتعاظم اليوم، وهو ناشئ عن التغيرات المجتمعية المرتبطة بالموجات الكبيرة للهجرة وتنامي المكانة السياسية والاقتصادية للبلدان الإسلامية.

٢١- كما أن هناك عوامل أخرى قد أسهمت في تصاعد ظاهرة كراهية الإسلام، بما في ذلك نمو مشاعر معادية للمهاجرين في أنحاء عديدة من العالم؛ وانتهاكات حقوق الإنسان المرتكبة من قبل أنظمة قمعية باسم الإسلام؛ ووجود حركات سياسية تستخدم أساليب إرهابية لتحقيق أهدافها، مدعية أنها تنطلق من الإسلام، مما يسفر عن تحميل مجموعة واسعة - هم المسلمون - المسؤولية عن الأفعال المرتكبة من قبل أفراد يدعون زيفاً أنهم يتصرفون باسم الإسلام. ومن الممكن، علاوة على ذلك، النظر إلى ظاهرة كراهية الإسلام كنتيجة مباشرة للإيديولوجية "المانوية" الشبيهة بإيديولوجية الحرب الباردة والتي تعتقد بصراع الحضارات والأديان - أي إيديولوجية "نحن" مقابل "هم" و"التنوير مقابل الظلامية"، و"المدنية مقابل المهمجية" - وهي إيديولوجية تهيمن في عدة دوائر سياسية وفكرية وإعلامية. وخلاصة هذه النظرة العقائدية المتشددة هي الغلو بلا هوادة في وصف وتصوير الإسلام كدين ذي قيم تتعارض بصورة أساسية مع قيم الحضارة الغربية التي تصوّر باعتبارها قيماً مترسخة في الديانة المسيحية.

٢٢- وقد ركز المقرر الخاص، في تقاريره السابقة، على عاملين اثنين يكمنان خلف تصاعد ظاهرة كراهية الإسلام وهما: إضفاء "الشرعية" الفكرية على هذا العدااء تجاه الإسلام وأتباعه، والتغاضي السياسي عن هذا العدااء في العديد من البلدان (انظر E/CN.4/2004/19 و E/CN.4/2005/18/Add.4، الفقرة ٢٠). وتشكل هاتان العمليتان تهديداً مباشراً لا لضمان حقوق الأفراد من المسلمين فحسب، وإنما أيضاً للأسس الديمقراطية للعديد من المجتمعات ذاتها.

٢- "الشَّرْعنة" الفكرية لظاهرة كراهية الإسلام

٢٣- إن البُعد الإيديولوجي لظاهرة كراهية الإسلام يرتبط ارتباطاً مباشراً بإضفاء "الشرعية" الفكرية كما يُعبّر عنها حالياً عدد مما يسمى بالمفكرين والمعلقين السياسيين والاجتماعيين الذين يُصرِّحون علناً بتصريحات تنطوي على كره للإسلام، بما في ذلك التشويه الصريح لصورة الإسلام. ويمكن للمرء أن يلاحظ، بصفة خاصة، أن عدداً من التصريحات التي تنطوي على كراهية للإسلام قد ادّعي زيفاً بأنها تصريحات علمية أو أكاديمية، وذلك من أجل إضفاء صبغة فكرية على الحجج التي تربط الإسلام بالعنف والإرهاب. ويضاف إلى ذلك أن التلاعب بالنصوص المقدسة، وبخاصة القرآن، واقتباسها على نحو انتقائي كوسيلة للمحااجة الخادعة بأن هذه النصوص تدل على الطابع العنيف للإسلام قد أصبحا من الممارسات المتبعة حالياً.

٢٤- كما أن عملية التبرير الفكري لظاهرة كراهية الإسلام تحدث أيضاً في وسائط الإعلام. ويلاحظ المقرر الخاص، رغم وجود أمثلة مضادة جديرة بالاهتمام، أن التقارير الإعلامية بشأن القضايا المتصلة بالإسلام بصورة مباشرة أو غير مباشرة تنزع إلى تعزيز أوجه التحيز والتنميط. فالطريقة التي تعاملت بها وسائط الإعلام مع الأحداث التي وقعت في ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ قد ألحقت قدراً كبيراً من الأذى بصورة العرب والمسلمين وشجعت في حالات كثيرة تنامي ظاهرة كراهية الإسلام. وقد تلاعب بعض وسائط الإعلام إلى حد كبير بالمشاعر المفترضة لعامة الجمهور فأيقظت المخاوف القديمة القائمة إما على الجهل أو على عقلية "صليبية" دفيئة لا تزال موجودة في دوائر معينة.

٢٥- وبالنظر إلى أن وسائط الإعلام لا تمثل شريحة معزولة من المجتمع، فإنها تتأثر مباشرة بالمحيط الإيديولوجي والاجتماعي - الثقافي القائم. وبالتالي فإنها تعبّر عن اتجاهات ومعتقدات فيما يتعلق بالإسلام تكون بالفعل واسعة الانتشار في المجتمع. وعلاوة على ذلك، فإن وسائط الإعلام كثيراً ما تُعزز هذه الاتجاهات من خلال التكرار الانتقائي لأخبار بعينها تربط بين الإسلام والعنف وتُغفل الإشارة إلى الأنشطة الإيجابية والممارسات الجيدة للمجتمعات الإسلامية؛ والتركيز المستمر على تصريحات القادة التي تضيء طابعاً شرعياً على العنف السياسي وذلك من خلال اقتباسات انتقائية من الإسلام؛ وتقديم صورة نمطية عن المسلمات باعتبارهن يخضعن للتمييز حتماً بصرف النظر عن تنوع واختلاف وضعهن في البلدان الإسلامية.

٣- التغاضي السياسي عن ظاهرة كراهية الإسلام

٢٦- أما العنصر الثاني في تنامي ظاهرة كراهية الإسلام، وهو عنصر التغاضي السياسي عن العداء والتمييز ضد المسلمين، فقد ازداد ترسخاً منذ أن قدم المقرر الخاص تقريره الأخير حول هذه المسألة. ونحن نشهد حالياً تزايداً مستمراً في الأحزاب السياسية والحركات الاجتماعية التي تقف صراحة مواقف تنطوي على كراهية للإسلام وتتبني سياسات تقوم على العنصرية وكره الأجانب. وعلاوة على ذلك، فإن هذه الأحزاب تكتسب صبغة الشرعية الديمقراطية من خلال المشاركة في الائتلافات الحكومية في عدد من البلدان، مما يسمح لها بتنفيذ برامجها السياسية الخاصة بها. ويجري الخلط بين مواضيع كالهجرة والهوية الوطنية والأمن القومي ومكافحة الإرهاب وطرحها معاً في إطار خطاب سياسي واحد يهدف إلى تبرير التمييز السافر ضد المسلمين من المواطنين وغير المواطنين.

٢٧- وهذا التغاضي السياسي المتزايد عن ظاهرة كراهية الإسلام يمكن أن يُلاحظ بوضوح بالنظر إلى تزايد الأحزاب اليمينية المتطرفة ذات البرامج المعادية للإسلام على نحو صريح، وبخاصة في عدة بلدان أوروبية. وكما ذكر المقرر الخاص في تقريره السابق عن "البرامج السياسية التي تشجع التمييز العنصري أو تُحرّض عليه"، فقد تزايد بروز الأحزاب اليمينية المتطرفة التقليدية وارتفع صوتها في السنوات الأخيرة، وهو ما يدل عليه مثلاً إنشاء مجموعة في البرلمان الأوروبي هي المجموعة المعنية بالهوية والتقاليد والسيادة، وهي تجمع بين ممثلين من الأحزاب اليمينية المتطرفة في سبع من الدول الأعضاء (إيطاليا وبلجيكا وبلغاريا ورومانيا وفرنسا والمملكة المتحدة والنمسا) (A/HRC/5/10، الفقرة ١٦). ومنذ ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، تزايد تغلغل رسالة كره الأجانب التي تروجها هذه الأحزاب اليمينية المتطرفة، وبخاصة رسالة كراهية الإسلام. وقد أخذت هذه الظاهرة تترسخ في مناطق مختلفة من العالم (انظر A/HRC/5/10).

٤- أشكال التعبير عن ظاهرة كراهية الإسلام

٢٨- إن ظاهرة كراهية الإسلام يمكن أن تتخذ أشكالاً مختلفة للغاية، وتراكمية في بعض الأحيان. وهذه تشمل أعمال التمييز الفردية ضد المسلمين، بما في ذلك الاعتداءات الجسدية واللفظية، وتدنيس أماكن العبادة والثقافة، بالإضافة إلى أشكال من العنصرية يغلب عليها الطابع المؤسسي، بما في ذلك التمييز الاجتماعي والإيديولوجي.

٢٩- ففيما يتعلق بأفعال التمييز الفردية، لاحظ المقرر الخاص وجود اتجاه متزايد للتقليل من أهمية هذه الحوادث باعتبارها حوادث تافهة لا يُعتدُّ بها. ومن الأمثلة على هذه الممارسات الفردية ما يشمل الحالات المتكررة التي تعرضت فيها مسلمات يرتدين الحجاب لتزع حجاجهن بالقوة في أماكن عامة، وهي حوادث عادةً ما يتعرض فيها هؤلاء النساء أيضاً للشتائم والتهديدات. كما أن أفعال العنف الجسدي ما برحت تزايد أيضاً، مثل ما حدث عندما قُتلت امرأة من مالي وأطلق الرصاص على امرأة تركية من قبل شخص متطرف معاد للمهاجرين في بلجيكا في أيار/مايو ٢٠٠٦؛ والاعتداء الذي تعرض له ممثل مغربي كان يشارك في مهرجان ضد العنصرية أقيم في أولجيتين ببولندا في عام ٢٠٠٦، أو الاعتداء الذي تعرض له مواطنون من الشرق الأوسط خلال مسيرة مناهضة للمهاجرين نُظمت في سيدي في كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٥.

٣٠- ولقد كانت المطارات إحدى المناطق المميزة التي شهدت أفعال تمييز فردية ضد المسلمين. فقد وردت تقارير عديدة عن حالات توجيه اتهامات لا أساس لها ضد مواطنين مسلمين في مطارات في شتى أنحاء العالم. ورغم أن بعض هذه الأفعال قد ارتكبت من قبل مؤسسات تابعة للدولة، بما فيها دوائر الأمن، فإن هناك أفعالاً أخرى قد ارتكبتها أفراد من المسافرين وغيرهم من مستخدمي المطارات، مما يدل على وجود مناخ عام من الكراهية للإسلام. وقد شملت هذه المظاهر الفردية لكراهية الإسلام دعوات موجهة من قباطنة الطائرات إلى أجهزة الأمن للتدخل ضد مسافرين من المسلمين، ودعوات موجهة من المسافرين لاستبعاد المسافرين المسلمين بزعم الاشتباه بهم، وما إلى ذلك من الحوادث. وقد أفضت هذه الممارسات، بأشد أشكالها عدوانية، إلى سحب الترخيص الأمني الممنوح لعدة أشخاص من المسلمين العاملين في مطار شارل ديغول في باريس بحجة أنهم يشكلون خطراً على المسافرين.

٣١- وإلى جانب أفعال التمييز الفردية، ثمة مسألة ثانية أعم مثيرة للقلق تشمل أشكال التعبير الجماعي عن التمييز ضد المسلمين، بما في ذلك التمييز الإيديولوجي والإجراءات التي تتسم بطابع مؤسسي نظراً لما تلقاه من تأييد من قبل الأحزاب السياسية أو الحكومات المحلية والوطنية.

٣٢- وثمة شكل مثير للقلق بصفة خاصة من بين أشكال التمييز ضد المسلمين، وهو يتمثل في العداء المتزايد إزاء الرموز الدينية. ففي أنحاء مختلفة من العالم، تتزايد حدة الخطاب العلماني العدواني، مما يسبب مزيداً من التمييز ضد المسلمين. ومن الأمثلة على ذلك ما يشمل بناء المساجد، أو استخدام الرموز الإسلامية الظاهرة التي أصبحت الممارسات التمييزية تستهدفها بصورة مباشرة. فقد قام عدد من المجتمعات المحلية في مختلف البلدان بفرض عدد هائل من العقبات أمام بناء المساجد الجديدة، وهي ممارسة تشكل انتهاكاً واضحاً لإعمال الحق في الحرية الدينية. وفي هذا الصدد، تنبغي الإشارة مع الأسف إلى التصريحات التي صدرت مؤخراً عن أسقف كولونيا والتي أعرب فيها عن مشاعر حذر إزاء إنشاء مسجد جديد في تلك المدينة. وفي سويسرا في الآونة الأخيرة، اقترح حزب الشعب السويسري (اتحاد الوسط الديمقراطي)، وهو حزب من الأحزاب الحاكمة يستخدم خطاباً شعبوياً معادياً للأجانب في حديثه عن المهاجرين وملتزمي اللجوء، إجراء عملية مشاور شعبية بشأن حظر إنشاء مآذن جديدة في هذا البلد. وفي فرنسا وألمانيا، تقوم الجماعات اليمينية المتطرفة بحملات علنية - ناجحة في بعض الأحيان - اعتراضاً على إنشاء المساجد.

٣٣- كما أن تصاعد ظاهرة كراهية الإسلام في السنوات الماضية قد انطوى على اعتداءات عنيفة على المساجد ودور العبادة. ففي عدة بلدان، ارتكبت أفعال عنف، بما في ذلك حرق نسخ من القرآن وكتابة عبارات معادية للإسلام على جدران المساجد. وهذه التعبيرات عن كره الإسلام تتخذ، في أشد أشكالها عدوانية، شكل الاعتداءات على المساجد، بما في ذلك محاولات الحرق المتعمد، كما حدث في كيمبير بفرنسا وفي بياروسلاف في الاتحاد الروسي في أيلول/سبتمبر ٢٠٠٦. كما أن تدنيس مقابر المسلمين يمثل ممارسة متزايدة.

٣٤- وفي سياق مكافحة الإرهاب، يظهر الشكل الأبرز لظاهرة كراهية الإسلام في مجال سياسات الأمن ومكافحة الإرهاب. فقد اعتمد عدد من البلدان تشريعات تسمح بممارسة التنميط العنصري والديني بحكم الأمر الواقع ضد المسلمين من المواطنين والمهاجرين، وبمختلف أنواع انتهاكات حقوق الإنسان الأساسية، بما فيها تلك المكرسة في معاهدات دولية. وقد أدت بعض القوانين الوطنية إلى تعليق العمل بإجراء الإحضرار أمام المحكمة وسمحت بممارسة عمليات الاحتجاز الوقائي والتعسفي دون توجيه أية تهم رسمية ولفترات غير محدودة وبدون توفير مساعدة قانونية، كما سمحت بعمليات الإبعاد السرية، واستخدام تقنيات الاستجواب القسري والتعذيب.

٣٥- ويرى المقرر الخاص أن مسألة مكانة الإسلام تدخل على نحو متزايد في صلب عملية بناء الهوية الأوروبية الجديدة. وفي هذا السياق، يكشف تصاعد ظاهرة كراهية الإسلام عن وجود أزمة هوية أوروبية. ويكشف الجدل الدائر حول انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي، والمطالبات بإدراج إشارة صريحة إلى التراث المسيحي لأوروبا في إطار مشروع الدستور الأوروبي، ومختلف المحاولات الوطنية الرامية إلى إنشاء هيئات حكومية مسؤولة عن قضايا الهوية الوطنية والهجرة، مثلما حدث مؤخراً في فرنسا، عن عمق ومدى إلحاح مسألة الهوية. ويتمثل التعبير الإيديولوجي الأساسي لاتجاه كراهية الإسلام في التأكيد العقائدي المتشدد على الطابع المسيحي للحضارة الأوروبية وبالتالي على التهديد الرئيسي الذي يشكله وجود الإسلام وبروزه ونموه. ومن الأمثلة الحديثة على هذا

النوع من الخطابات التصريح الذي صدر في عام ٢٠٠٧ عن نائب رئيس الوزراء ووزير التعليم في بولندا، رومان جييرتيتش، حيث قال إن "أوروبا تقوم على الثقافة اليونانية والقانون الروماني والقيم المسيحية [...] فبدون الدين، وبدون الأسرة، وبدون الناس الذين يحمون هذه القيم في أوروبا الغربية، سوف يحلّ المسلمون محلّنا". ومثل هذا الخطاب يسير جنباً إلى جنب مع طروحات سياسية معادية للسامية. ويرى المقرر الخاص أن عملية بناء الاتحاد الأوروبي، بتركيزها على الأبعاد الاقتصادية والسياسية، قد تناولت على نحو ملتبس أو أغفلت حقيقة أنه من الضروري العودة إلى تناول مسألة بناء الهويات الأوروبية، وهي مسألة تشكل أحد الأسباب الجذرية لمعظم الصراعات الأوروبية في القرون الماضية. وبالتالي فإنها قد أعاقت أيضاً الاعتراف بالهوية المتعددة الثقافات لأوروبا الجديدة وقبول هذه الهوية. ومما يؤمل أن يشكل عدم إدراج إشارة إلى التراث المسيحي لأوروبا في مشروع الدستور الأوروبي الذي لم يقرّ بعد دلالة على أن أغلبية البلدان ترفض هذا النوع من الخطاب.

٣٦- كما أن ظاهرة كراهية الإسلام تنشأ عن مواقف وسلوكيات بعض المسلمين. وبصفة خاصة، تلجأ التُّخَب الحاكمة في عدد من البلدان الإسلامية إلى إثارة المواضيع الدينية لتبرير وجود القوانين التي تنتهك حرية الوجدان والتعبير، واحترام الأقليات الدينية، وحقوق المرأة. وعلاوة على ذلك، فإن التأثير الواسع النطاق للقوى الأجنبية في الشرق الأوسط على مدى القرن الماضي قد ساهم في ظهور شعور لدى المجتمعات المحلية بأنها ضحية، الأمر الذي يسهم في ظهور عملية "انغلاق" على الذات على مستوى الهوية ويؤجج العداوات الدينية والثقافية.

باء - معاداة السامية

٣٧- تتميز ظاهرة معاداة السامية بوجودها الذي يعود إلى أمد بعيد وبقدرتها على التكيف مع السياقات الاجتماعية والسياسية الجديدة، فضلاً عن المستويات الحادة التي بلغت على مدى التاريخ. فقد تعرض اليهود للوصم والاضطهاد لأسباب دينية وعنصرية وإيديولوجية وسياسية على مدى التاريخ. ويرتبط استمرار وتصاعد ظاهرة معاداة السامية بعوامل رئيسية ثلاثة هي: عمقها التاريخي، وتفسير الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني وتأثيره، وتصاعد التزعة العلمانية في مواجهة التزعات الدينية.

٣٨- وتنشأ أشكال التعبير الحالية عن ظاهرة معاداة السامية، في الغالب، عن دوافع سياسية، وليس عن دوافع دينية أو عنصرية، تربط اليهودية بإسرائيل وسياساتها تجاه الفلسطينيين. وهذا الخلط بين "اليهودي" و"الإسرائيلي" يغفل تمييزاً بالغ الأهمية بين اليهودية كتقليد ثقافي وديني مميز، وبين إسرائيل كدولة متعددة الثقافات تضم مواطنين من اليهود والمسلمين والمسيحيين ومن أتباع ديانات أخرى.

٣٩- وفي العالم العربي - الإسلامي، لا تزال معاداة السامية تشكل مسألة مثيرة للقلق. فعلى المستوى الإيديولوجي، يلاحظ المرء بقلق نشر كتب معادية للسامية راجت في أوروبا في القرن التاسع عشر، مثل بروتوكولات حكماء صهيون التي تُعرض فيها أسطورة وجود مؤامرة يهودية من أجل السيطرة على العالم. وعلاوة على ذلك، فإن تأثير الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني يظهر على نحو ملحوظ في الدوائر العربية - الإسلامية، تعززه الصور اليومية للمأساة الناجمة عن الاحتلال المستمر ومعاناة الشعب الفلسطيني وعدم وجود سياسة للإدماج الفعال للإسرائيليين من أصل عربي.

٤٠ - ويرى المقرر الخاص أنه بالاستناد إلى مختلف تفسيرات هذه المسألة، ينبغي إجراء فحص دقيق بصفة خاصة للعناصر التالية ذات الأهمية البالغة: المعاداة للسامية والمعاداة للصهيونية؛ والمعاداة للسامية وانتقاد السياسات التي تنتهجها دولة إسرائيل. ويلاحظ المقرر الخاص أهمية الاعتراف بالعمق التاريخي والأهمية الحالية لظاهرة معاداة السامية، بالنظر إلى أنه رغم كون معاداة الصهيونية وانتقاد سياسات الحكومة الإسرائيلية قد ينطويان، في دوائر معينة، على نبرة معادية للسامية، فإن اختصار هذين العنصرين معاً في مواقف معادية للسامية يمكن أن يفضي إلى التشكيك في شرعية النقاش السياسي الديمقراطي، بل والأهم من ذلك أنه يمكن أن يؤدي إلى التقليل من شأن المواقف المعادية للسامية باعتبارها مواقف تافهة لا ينبغي الالتفات إليها. ثم إن الاعتراف بحق إسرائيل في الوجود من قبل الأمم المتحدة والدول الأعضاء فيها، وبخاصة الدول العربية، بالإضافة إلى الاعتراف بها من قبل الشعب الفلسطيني، إنما يُقوّض الحجة الرئيسية التي تشير إلى وجود صلة بين معاداة الصهيونية ومعاداة السامية، مما يجعل من معاداة الصهيونية مجرد رفض للاعتراف بحق الشعب اليهودي في إقامة دولة.

٤١ - وثمة حاجة ماسة جداً لتحديد الحالات التي يتم فيها الخلط بين معاداة الصهيونية ومعاداة السامية. وتشير تحليلات الخبراء إلى الحالات التالية لمثل هذه المطابقة بين معاداة الصهيونية ومعاداة السامية:

(أ) عندما تكون اللغة والصور والأوصاف المستخدمة في الحديث عن إسرائيل مصبوغة بصبغة تنميطية معادية للسامية على نحو يمكن إدراكه؛

(ب) عندما يصوّر الإسرائيليون واليهود كما لو كانوا "شياطين كونيّين" يحمّلون المسؤولية عن الكوارث العالمية ويقارنون بالنازيين؛

(ج) عندما يتعرض الإسرائيليون واليهود الذين يؤيدون دولة إسرائيل للاستفراد والاعتداء ويعاملون معاملة لا تتناسب مع المسألة المطروحة وبالمقارنة مع الإجراءات التي تتخذها بلدان أخرى؛

(د) عندما يكون الحق المشروع لإسرائيل في الوجود كدولة يهودية موضع شك.

٤٢ - إلا أنه ينبغي أيضاً ملاحظة أن تصاعد ظاهرة معاداة السامية في العديد من الأوساط الأوروبية هو أمر لا يرتبط إلا قليلاً، أو أنه لا صلة له على الإطلاق، بمعارضة إسرائيل. فالتزايد السريع في عدد جماعات النازية الجديدة النشطة في هذه القارة - بما فيها الأحزاب السياسية التي تستلهم النزعة الاشتراكية القومية المتطرفة - هو أمر مثير للقلق. وعلاوة على ذلك، فإن الأحداث التي يتورط فيها ناشطون من الجماعات النازية الجديدة، بما في ذلك أفعال الاعتداء البدني والقتل، قد أصبحت أكثر شيوعاً. ومن الحوادث الشائعة ما يتمثل في تدنيس المقابر اليهودية والاعتداءات على دور العبادة اليهودية. كما أن ظاهرة النازية الجديدة قد شهدت تصاعداً في الأنشطة ذات الصلة بالرياضة، وبخاصة لعبة كرة القدم، عندما قام مشجعو هذه الفرق بإعداد ونشر مواد عنصرية تنطوي على كره للأجانب وتحمل رموزاً نازية، بما في ذلك رفع الأعلام النازية.

٤٣ - وثمة عملية مراجعة تحريفية مستمرة للتاريخ تتجلى في البرامج التقليدية للأحزاب اليمينية المتطرفة بل ولبعض الدول التي تصل إلى حد إنكار وقوع محرقة اليهود ("الهولوكوست"). وإن مغزى معاداة السامية هذه يتجلى بصورة منتظمة في تصريحات وكتابات الشخصيات السياسية والفكرية والفنية. ويضاف إلى ذلك أن

أصحاب المؤلفات المعادية للسامية والمرتبطة بالصراع الدائر في الشرق الأوسط يستمدون لغتهم وتعبيراتهم التمييزية من الإرث التاريخي لمعاداة السامية في أوروبا.

٤٤ - كما أن معاداة السامية قد شهدت أيضاً تصاعداً مفرعاً في مناطق أخرى، بما فيها آسيا. ففي الهند، على سبيل المثال، هناك بعض الحركات الهندوسية القومية المتطرفة التي تستلهم بصورة مباشرة الإيديولوجية النازية مشيدة بالشعور النازي القوي بالاعتزاز العرقي ومقترحة اتخاذه نموذجاً من أجل "استعادة نقاوة الهند" كأمة من الهندوس حصراً.

جيم - ظاهرة كراهية المسيحية

٤٥ - لقد حدثت زيادة لا يمكن إنكارها في الأفعال التي تنطوي على كراهية للمسيحية في السنوات الماضية، وقد بدا ذلك واضحاً بصفة خاصة في سياق العلاقات المعقدة بين المسيحيين والمسلمين، والنشاط التبشيري القوي الذي تقوم به بعض الجماعات الإنجيلية. كما أن النزعة العلمانية المتشددة والإيديولوجية المهيمنة المناهضة للأديان قد زادت من حدة ظاهرة كراهية المسيحية.

٤٦ - فمن جهة، أدت عملية المماهاة بين الغرب والمسيحية، بالنظر إلى قريهما التاريخي خلال عهود الاستعمار الأوروبي وإلى الجدل السياسي والفكري الدائر حالياً حول الهوية المسيحية لأوروبا - حسبما يتجلى في الخطاب السياسي والفكري المعارض لانضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي والجدل الدائر حول الإشارة إلى الجذور المسيحية لأوروبا في مشروع الدستور الأوروبي الذي لم يتم إقراره بعد - إلى تزايد حدة المشاعر المعادية للمسيحية في أفريقيا وآسيا والشرق الأوسط.

٤٧ - ولقد تزايدت حدة هذه المشاعر في سياق الحرب على الإرهاب والقبول المتزايد لنظرية صراع الحضارات بين الغرب والعالم الإسلامي، وهي نظرية تنطوي ضمناً على مساواة الغرب بالمسيحية والشرق الأوسط بالإسلام. وهذا الخلط اللاعقلاني الذي يفضي إلى العنف، فضلاً عن الآثار السلبية المترتبة على نظرية صراع الحضارات، قد أدى إلى ظهور عدد من الحالات التي تجلّت فيها ظاهرة كراهية المسيحية، ومنها مثلاً اغتيال راهبة كاثوليكية في كينيا في أعقاب قيام صحيفة دائمة بنشر رسوم ساخرة مسيئة للنبي محمد.

٤٨ - ومن جهة ثانية، أدت الأنشطة التبشيرية القوية لبعض الجماعات الإنجيلية، وبخاصة من أمريكا الشمالية، إلى ردود أفعال من المقاومة والعداوة تجاه الديانة المسيحية في أمريكا الجنوبية وأفريقيا وآسيا. ففي الهند، بصفة خاصة، أدى استغلال هذه الجماعات الإنجيلية لحرية التعبير كأداة للقيام بصورة علنية بنشر كتابات مناهضة للديانة الهندوسية تحطّ من قيمها وتقاليدتها وتحرض على تدمير رموزها إلى ظهور شعور بالهوية مقاوم لهذا التأثير الأجنبي الذي يعتبر بدوره خطراً يتهدد هوية الهند المتوارثة عن الأجداد بوصفها أمة من الهندوس. وينبغي أن يتم في هذا السياق تحليل ظاهرة تحول أتباع طائفة "الداليت" إلى المسيحية من أجل الخلاص من التمييز المترسخ ضد هذه الجماعة.

٤٩ - كما أن كراهية المسيحية تمثل ظاهرة شائعة أيضاً في أوروبا حيث إن الانتشار الثقافي للنزعة العلمانية المتشددة التي تشكلت بحجة الدفاع عن الغلبة التاريخية لمنطق الفصل بين الكنيسة والدولة، والخلط بين مفهوم

الحدائث ورفض الدين، لا يؤديان إلى ظهور ثقافة مناهضة للأديان فحسب وإنما أيضاً إلى تعصب إزاء أية ممارسة دينية أو تعبير أو رمز ديني. ومن الأمثلة الحديثة التي توضح هذه الظاهرة ما يشمل تراجع ممارسة الشعائر الدينية، والإعراض عن قبول شرعية الأخلاقيات الدينية في الخيارات والمناقشات الرئيسية للمجتمع الديمقراطي.

٥٠ - كما أن مظاهر كراهية المسيحية قد أصبحت تتكرر أيضاً لدى جماعات معينة في بعض البلدان ذات الأغلبية الإسلامية الكبيرة مثل مصر والعراق وإندونيسيا ونيجيرو وباكستان. وتتخذ هذه المظاهر شكل الخطابات التي تحرض على الكراهية الدينية، والاعتداءات على أماكن السكن والعبادة، وعمليات الاضطهاد والقتل. وفي ميانمار، كانت للصعوبات المفروضة على ممارسة شعائر الديانات الأخرى غير الديانة البوذية في هذا البلد، عواقب خطيرة بالنسبة للمسيحيين، بما في ذلك انتهاج سياسات من قبيل حظر ترجمة الإنجيل إلى اللغة المحلية. وفي السودان، بصفة خاصة، تُعتبر حالة الأقليات المسيحية حالة حرجة منذ سنوات عديدة. ويلاحظ المقرر الخاص بارتياح التحسينات التي أسفر عنها اتفاق السلام والدستور الوطني المؤقت الجديد، بما في ذلك منح الاستقلال الذاتي الديني للجنوب، مع تطبيق الشريعة الإسلامية في بقية أنحاء البلد، والاعتراف بالخرطوم كرمز لتنوع السودان، وكذلك، على وجه الخصوص، إنشاء لجنة معنية بحقوق غير المسلمين. إلا أن المقرر الخاص يلاحظ بقلق حالة المسيحيين الذين يعيشون في الشمال والذين يتعرضون لتمييز مستمر، بما في ذلك الحظر المفروض على بناء كنائس جديدة واشتراط تدريس الإسلام للتلاميذ في المدارس. كما يبدو أن كراهية المسيحية تشكل أيضاً عاملاً هاماً في مأساة دارفور التي يعتزم المقرر الخاص أن يتابعها بعناية.

دال - أشكال أخرى للتمييز القائم على أساس الدين

٥١ - إن تحليل الأشكال المختلفة لتشويه صورة الأديان ينبغي أن يكمل بدراسة للأشكال الأخرى للتحريض على كراهية الممارسات الدينية أو الروحية لمجموعات إثنية أو دينية أخرى. وفي هذا الصدد، قد تشمل ظاهرة تشويه صورة الأديان، في سياقات معينة، الديانات الهندوسية والبوذية والديانات الهندية - الأمريكية والأفريقية - الأمريكية والديانات والممارسات الدينية التوفيقية والتقاليد الروحانية الأفريقية مثل تقاليد الفودو (Voodoo)، وديانات العديد من القبائل في جنوب شرق آسيا.

٥٢ - وقد لاحظ المقرر الخاص بقلق تصاعد ظاهرة تشويه صورة التقاليد الدينية والروحية الأفريقية - الأمريكية في بلدان أمريكا الجنوبية، ولا سيما البرازيل (انظر E/CN.4/2006/16/Add.3). ويتجلى أخطر أشكال التعبير عن هذه الظاهرة في قيام جماعات إنجيلية قوية النفوذ، ومعظمها من الولايات المتحدة الأمريكية، بشن حملة واسعة النطاق لوصم بعض التقاليد الدينية والروحية مثل الفودو عموماً، والكاندومبلي (Candomblé) في البرازيل والسانتيريا (Santeria) في بلدان مختلفة من القارة بصفة خاصة بأنها تقاليد "شيطانية". وتنتهج هذه الجماعات سياسة نشطة موجهة ضد الفقر، ولكنها تنطوي على عنصر تبشيري قوي وعلى استخدام جميع الأدوات الإعلامية المتعددة الوسائط، كالإنترنت والتلفزيون والإذاعة والمنشورات المجانية. وهي تعيد استخدام ما استخدمته إيديولوجيات الحقبة الاستعمارية من لغة وصور وحجج في وصم التقاليد الدينية والروحية غير الأوروبية. وهي تتمحور حول وصم هذه الأديان باللاعقلانية واللاإنسانية والهمجية. ثم إن حملات الوصم هذه - التي تثير استياءً بالغاً لدى العديد من الجماعات المتحدرة من أصول أفريقية باعتبارها حملات تذكر بخطابات العنصرية والتمييز التاريخية - لا تؤدي إلى تغذية أشكال كراهية المسيحية فحسب بل وأيضاً إلى استقطاب الجماعات على أسس إثنية.

٥٣ - وبالنظر إلى حدود هذه الدراسة، لن يخلل المقرر الخاص كل شكل من أشكال تشويه صورة الأديان هذه، ولكنه سيشير بإيجاز إلى أشكال التعبير عن التمييز الموجه ضد الديانة الهندوسية، وذلك بالنظر إلى تواترها ومستوى العنف الذي أخذت تصل إليه.

٥٤ - ففي سياق تحليل تشويه صورة الديانة الهندوسية، ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار أوجه التحامل والتحيز التي تفضي إلى النيل من ممارسة روحية ممتدة منذ آلاف السنين من خلال التعبير عنها تعبيراً تنميطياً والمهااة بين الهندوسية ونظام الطبقات الطائفية الهندوسي. وفيما يتعلق بهذا النظام الأخير، من المهم ألا يغيب عن البال أن عدداً من المحللين الهندوس يجادلون بأن التمييز القائم على أساس نظام الطبقات الطائفية هو إحدى الخصائص الثقافية لشبه القارة الهندية، كما أنه نظام مارسه بعض المسلمين والبوذيين بل وحتى بعض المسيحيين. وعلاوة على ذلك، فإن بعض الاتجاهات الإصلاحية الهندوسية الجديدة التي شهدتها القرنان التاسع عشر والعشرون قد نظرت في إلغاء نظام الطبقات هذا. ولكنه على الرغم من واقع الاستراتيجية السياسية والقانونية الموجهة ضد هذا النظام، فإن عمليات التهميش والتمييز والعنف المتواصل ضد "الداليت" لا تزال تحدث يومياً في بعض أنحاء الهند، ولا سيما في المناطق الريفية.

٥٥ - كما ينبغي فهم ظاهرة تشويه صورة الديانة الهندوسية في سياق التوترات القائمة بين الجماعات الهندوسية والإسلامية التي تشتمل علاقاتها التاريخية المعقدة على نزاعات دينية كما تشتمل على أمثلة من التعايش والتوافق. أما الخطابات المعادية للهندوس فتتصل أساساً بتوترات سياسية بين الهند وباكستان وبنغلاديش، وبخاصة فيما يتصل بكشمير. وتقوم حركات معينة في باكستان وبنغلاديش باستغلال حالة الأقليات الإسلامية في الهند كأداة للتحريض على الكراهية ضد الهندوسية. وهناك حالات موثقة من الإساءات إلى الهندوس في عدة بلدان، بما في ذلك أفغانستان، وباكستان، وبنغلاديش، وبوتان، وترينيداد وتوباغو، وسري لانكا، وفيجي، وكازاخستان، وماليزيا، والمملكة العربية السعودية.

٥٦ - وتشتمل الأشكال النمطية للتمييز ضد الديانة الهندوسية على هدم المعابد، ووضع العوائق أمام ممارسة الحرية الدينية مثل حظر ارتداء الملابس الدينية وغير ذلك من الرموز، والتصوير الخاطئ للهندوس كأتباع ديانة مُشركة (متعددة الآلهة) ووصمهم بممارسة ما يسمى "السحر الأسود" والشعوذة، وحظر مراسم الدفن وحرث جثث المتوفين وفقاً للتقاليد الهندوسية، أو الحظر الكلي لممارسة شعائر الديانة الهندوسية أو اعتناقها. ومن الأمور التي تدعو إلى القلق بصفة خاصة ما يتمثل في التشريد القسري لنحو ١٠٠ ٠٠٠ شخص من الأقلية الهندوسية من جنوبي بوتان منذ أوائل التسعينات من القرن الماضي، وهؤلاء لا يزالون يعيشون في ظل أوضاع محفوفة بالمخاطر كمشردين داخلياً أو كلاجئين في بلدان مجاورة.

٥٧ - وفيما يتصل بهذا الموضوع، يشدد المقرر الخاص، وفقاً للتفسير الذي اعتمده لجنة القضاء على التمييز العنصري، على أن التمييز القائم على أساس الطبقات الطائفية هو نوع من التمييز العنصري بالاستناد إلى لفظة "النسب" الواردة في المادة ١ من اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز العنصري، وهي لا تشير إلى العرق فحسب بل إنها تشمل حالة الطبقات والقبائل. ويعتزم المقرر الخاص أن يتابع وبمزيد من العمق دراسة مسألة العلاقات بين الهندوسية والمسيحية فضلاً عن حالة التمييز القائم على أساس الطبقات الطائفية وذلك في إطار زيارة يعتزم القيام بها إلى الهند وقد طلب بصددها الحصول على دعوة من الحكومة الهندية قبل أكثر من سنتين.

ثالثاً - الطابع العالمي لجهود مكافحة التمييز

٥٨ - يلاحظ المقرر الخاص أن الجهود الرامية إلى مكافحة التمييز ضد الأديان، بما في ذلك تشويه صورة الأديان، يجب أن تتصدى لواقع من شقين. فمن جهة، هناك ما يتميز به كل شكل من أشكال التمييز من خصوصية وتفرد، كالتمييز المتمثل في ظواهر كراهية الإسلام، ومعاداة السامية، وكراهية المسيحية، من حيث فرادتها الدينية والثقافية والتاريخية والجغرافية. ومن جهة ثانية، ينبغي الاعتراف بالطابع العام للأسباب التي تكمن خلف هذه الظواهر والحاجة إلى تعزيز جميع الجهود الرامية إلى مكافحة جميع ظواهر الكراهية وأشكال التمييز هذه.

٥٩ - والتحدي الأساسي والأكثر تعقيداً الذي يدخل في صميم جهود مكافحة جميع أشكال التمييز هو تحد مزدوج: سياسي وأخلاقي. فمن جهة، يتمثل التحدي السياسي الذي يواجه المجتمعات المتعددة الثقافات - بإرثها التاريخي المتنوع من حيث التمييز والهيمنة - في استنباط سياسات وبرامج تتمحور حول مبدئين اثنين: الاعتراف بتفرد ذاكرة كل جماعة أو طائفة واحترام هذا التفرد، وبناء الذاكرة الجماعية أو الوطنية من خلال تشجيع تبادل المعارف ومشاطرة الجماعات بعضها بعضاً ومشاعرها وتاريخها. ويكون التحدي أشد صعوبة في مجال الدين والمعتقدات حيث ترسخ أعمق المشاعر والإحساس بالانتماء. وهناك عمليتان حساستان ضروريتان لتعزيز هدف التعايش، وهما: فعل الذاكرة من خلال تدوين وتدرّس التاريخ بوصفه ذاكرة متعددة الثقافات، وبناء نظام قيم وطني و/أو جماعي تغذيه التفاعلات بين القيم الثقافية والروحية المختلفة للجماعات كافة. وثمة قيمة أساسية في أي مجتمع علماني تتمثل في تعزيز مفهوم "التعايش" (*vivre ensemble*) الذي يقوم على أساس التوازن بين حرية التعبير وحرية الدين وبالتالي عدم التحريض على الكراهية العرقية أو الدينية.

٦٠ - ومن جهة ثانية، فإن التحدي الأخلاقي الملازم للتعارض بين الطابع الفريد لكل ظاهرة من ظواهر الكراهية والطابع العام لأسباب هذه الظواهر يتصل بالخيار الأساسي والصعب الذي يواجهه الضحايا أفراداً وجماعات، أي: الاختيار بين هوية الضحية المميزة عن غيرها ("الغيتو") أو التضامن مع جميع الضحايا. وهوية الضحية "المميزة" هي تعبير عن الأولوية التي يعطيها المستهدف بالتمييز، بما في ذلك التمييز المتمثل في تشويه صورة الأديان، لجعل تجربته "مميّزة" أو "فريدة". وهي لا تفضي إلى انعدام الحساسية إزاء معاناة الجماعات الأخرى واحترام ذكورها فحسب، بل إنها تفضي أيضاً إلى إغواء بوضع ترتيب هرمي لأهمية مختلف ظواهر الكراهية.

٦١ - وإن دعاة إيديولوجية ونظرية صراع الحضارات والأديان يستغلون شرعيتهم التي يستمدونها من غياب التضامن بين ضحايا ظواهر كراهية الإسلام ومعاداة السامية وكراهية المسيحية وغير ذلك من أشكال تشويه صورة الأديان وأشكال التمييز. وهذه العملية التي تستغلها الأحزاب السياسية تشكل العقبة الأشد خطورة أمام الجهود العالمية والكفؤة لمكافحة التمييز عموماً وتشويه صورة الأديان بصفة خاصة. أما التحدي البديل - الأصعب فردياً وجماعياً - فيتمثل في غلبة الطابع العام لجميع أشكال التمييز: وهي عملية تحوّل تفرّد التجربة الذاتية إلى تضامن مع التجارب الثقافية والإثنية والدينية للجماعات الأخرى. وهذه العملية هي عملية فردية من الناحية الأخلاقية وجماعية من الناحية السياسية، وتتمثل أدواتها في ما يلي: (أ) في المجال القانوني، معاملة جميع الأديان معاملة متساوية؛ و(ب) في المجال السياسي، الحرص على إقامة توازن دقيق بين حرية التعبير وحرية الدين؛ و(ج) في المجال الثقافي، الأخذ بنهج متعدد الثقافات في التعليم عموماً وفي تدوين وتدرّس التاريخ بصفة خاصة؛ و(د) في المجال

الاجتماعي، بناء مفهوم "التعايش" في جميع مجالات التفاعل المتعدد الثقافات (الإسكان، وتخطيط المدن، وأماكن العمل، وما إلى ذلك).

٦٢ - ويمكن ملاحظة العنصر العالمي لمكافحة مختلف أنواع التمييز وذلك في الإدانة المشتركة من قبل الطوائف الإسلامية والمسيحية واليهودية للسياسات العلمانية المتشددة المنتهجة في بعض المناطق. فالرأي الذي يعتبر أن مسألة الدين يجب أن تقتصر على حياة الناس الخاصة وأن الدولة يجب أن تكون محايدة من الناحية الدينية يفسر في عدة بلدان على أنه يضيء الشرعية على معارضة حق المواطنين، من أتباع الديانات وممارسي شعائرها، في المشاركة في الحياة العامة أو في اعتماد مواقف تتوافق مع قيمهم الروحية فيما يتصل بمسائل أخلاقية كشؤون الأسرة والزواج والتقدم العلمي.

رابعاً - المبادرات الرامية إلى تعزيز التسامح

٦٣ - لقد شهدت السنوات الأخيرة إدراكاً متزايداً لمشكلة تشويه صورة الأديان انعكس على أعلى مستوى سياسي، ولا سيما في أوروبا وفي العالم العربي - الإسلامي. فبالإضافة إلى الدور الرئيسي الذي تضطلع به منظمات لا تحصى تعمل على مستوى القاعدة الشعبية في شتى أنحاء العالم، قامت عدة منظمات حكومية دولية، بما فيها الأمم المتحدة، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، والاتحاد الأوروبي، ومنظمة الأمن والتعاون في أوروبا، باتخاذ إجراءات ذات شأن فيما يتعلق بهذه المسألة وقدمت مقترحات من أجل مكافحة مثل هذه الظواهر من خلال تشجيع الحوار والتسامح. وتتضمن الفقرات الواردة أدناه ملخصاً مقتضباً للمبادرات الهامة التي أُخذت على المستوى الحكومي الدولي من أجل مكافحة ظاهرة تشويه صورة الأديان.

٦٤ - فقد أطلق كوفي عنان، الأمين العام السابق للأمم المتحدة، مبادرة "تحالف الحضارات"، بناءً على مبادرة من رئيسي الوزراء في إسبانيا وتركيا بمناسبة انعقاد الدورة التاسعة والخمسين للجمعية العامة للأمم المتحدة. وقد اضطلع فيديريكو مايور، المدير العام السابق لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، بدور رائد في هذا الصدد. وتسعى هذه المبادرة إلى تعزيز الإرادة السياسية الجماعية وتضافر الجهود على المستوى المؤسسي ومستوى المجتمع المدني من أجل التغلب على مشاكل التحيز والتصورات الخاطئة والاستقطاب المناوئة لتحقيق مثل هذا التوافق في الآراء، ولا سيما من حيث تزايد حدة الشكوك المتبادلة والخوف وسوء الفهم بين المجتمعات الإسلامية والغربية. ويهدف "تحالف الحضارات" إلى إزالة هذه التوترات بوسائل غير عسكرية تستخدم، كأرضية مشتركة، التعاون في مجال مكافحة الإرهاب، وتصحيح التفاوتات الاقتصادية، وتشجيع الحوار الثقافي. وفي نيسان/أبريل ٢٠٠٧، قام بان كي - مون، الأمين العام للأمم المتحدة، بتعيين جورج سامبايو، الرئيس السابق للبرتغال، ممثلاً سامياً لتحالف الحضارات.

٦٥ - وقد تناولت منظمة المؤتمر الإسلامي بإسهاب مسألة ظاهرة كراهية الإسلام في الاجتماعات التي عقدها مؤخراً، وأنشأت في إطار الأمانة العامة للمنظمة في عام ٢٠٠٦ برنامجاً يعرف باسم "مرصد ظاهرة كراهية الإسلام". وقد كلف المرصد بمهمة رصد وتوثيق جميع الأنشطة التي تدل على كراهية للإسلام في شتى أنحاء العالم. وفي أيار/مايو ٢٠٠٧، اعتمدت الدورة الرابعة والثلاثون لوزراء خارجية منظمة المؤتمر الإسلامي إعلان اسطنبول الذي يدين الاتجاه المتزايد لكراهية الإسلام والتمييز المنهجي ضد أتباع الديانة الإسلامية، ويدعو المجتمع الدولي إلى

منع التحريض على الكراهية والتمييز ضد المسلمين واتخاذ تدابير فعالة لمكافحة تشويه صورة الأديان وأعمال التمييز السليبي للناس على أساس الدين أو المعتقد أو الأصل الإثني.

٦٦- ويرحب المقرر الخاص بقرار تعيين الرئيس جورج بوش مؤخراً مبعوثاً خاصاً لمنظمة المؤتمر الإسلامي، ويأمل أن يساهم هذا القرار في تعزيز الحوار والتفاهم والتعاون بين الولايات المتحدة الأمريكية ومنظمة المؤتمر الإسلامي وأن يشكل خطوة هامة في اتجاه إعادة تقييم السياسات والتدابير التي اعتمدت بعد ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ والتي يمكن أن تكون قد أسهمت بصورة مباشرة أو غير مباشرة في بروز ظاهرة كراهية الإسلام، وأن تشكل أيضاً، في نهاية المطاف، خطوة هامة في بناء الجسر الذي توجد أمس الحاجة إليه للتواصل بين الغرب والعالم الإسلامي. ويعرب المقرر الخاص عن أمله بأن يتخذ الاتحاد الأوروبي نفس هذا القرار الرمزي وفقاً لأحدث المبادرات التي قام بها.

٦٧- والواقع أن جهوداً كبيرة قد بُذلت على مستوى الاتحاد الأوروبي، وبخاصة منذ إنشاء المركز الأوروبي لرصد العنصرية وكره الأجانب ومعاداة السامية وكراهية الإسلام وما يتصل بذلك من تعصب، ووضع استراتيجيات لمكافحة العنصرية، وسلط الضوء على أمثلة على الممارسات الجيدة فيما يتعلق بإدماج المهاجرين وجماعات الأقليات الإثنية والدينية في مجتمعات الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي. وفي ١ آذار/مارس ٢٠٠٧، أصبح هذا المركز هو وكالة الاتحاد الأوروبي المعنية بالحقوق الأساسية. ويأمل المقرر الخاص بقوة أن يتم تعزيز التعاون الممتاز القائم مع المركز الأوروبي لرصد العنصرية وكره الأجانب ومع المدير المتفاني لهذا المركز، السيد بيت وينكلر، ومع الوكالة الجديدة. كما يأمل أن تظل مكافحة العنصرية تشكل بعداً محورياً من أبعاد ولايته.

٦٨- كما أن مجلس أوروبا قد تناول هذه الظواهر في السنوات الماضية. فقد أنشئت المفوضية الأوروبية لمناهضة العنصرية والتعصب في أعقاب قرار صدر عن مؤتمر القمة الأول لرؤساء دول وحكومات الدول الأعضاء في مجلس أوروبا المعقود في فيينا في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٣، وتم تعزيزها بقرار اتخذته مؤتمر القمة الثاني المعقود في ستراسبورغ في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٧. وتتمثل مهمة المفوضية الأوروبية لمناهضة العنصرية والتعصب في مكافحة العنصرية وكره الأجانب ومعاداة السامية والتعصب على مستوى أوروبا كلها ومن منظور حماية حقوق الإنسان. وفي مؤتمر القمة الثالث المعقود في وارسو في ١٧ أيار/مايو ٢٠٠٥، اعتمد رؤساء دول وحكومات الدول الأعضاء في مجلس أوروبا إعلان وارسو الذي أذعنوا فيه بقوة جميع أشكال التعصب والتمييز، وبخاصة تلك القائمة على أساس الجنس أو العرق أو الدين، بما في ذلك معاداة السامية وكراهية الإسلام، وأكدوا عزمهم على متابعة القيام، ضمن مجلس أوروبا، بوضع قواعد وآلية فعالة لمنع هذه الظواهر والقضاء عليها.

٦٩- وفي السنوات الأخيرة، عقدت منظمة الأمن والتعاون في أوروبا عدة مؤتمرات بشأن تشجيع التسامح وعدم التمييز، ومكافحة معاداة السامية وكراهية الإسلام وكراهية المسيحية، والتصدي لخطاب الكراهية على شبكة الإنترنت. وفي كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٤، عين رئيس المنظمة ثلاثة ممثلين شخصيين لإشاعة قدر أكبر من التسامح ومكافحة العنصرية وكره الأجانب والتمييز على امتداد منطقة منظمة الأمن والتعاون في أوروبا وهم: السفير أومور أورهوم من تركيا، ممثلاً شخصياً معنياً بمكافحة التعصب والتمييز ضد المسلمين؛ وغيرت فايسكيرتشن من ألمانيا، ممثلاً شخصياً معنياً بمكافحة معاداة السامية، وأناستاسيا كريكلي من أيرلندا، ممثلة

شخصية معنية بمكافحة العنصرية وكره الأجانب والتمييز، مركزة أيضاً على التعصب والتمييز ضد المسيحيين وأتباع الديانات الأخرى. ومن بين المبادرات الأخرى التي اتخذتها منظمة الأمن والتعاون في أوروبا، يرحب المقرر الخاص بالمؤتمر الذي عقد في بوخارست في ٦ حزيران/يونيه ٢٠٠٧ بشأن "مكافحة التمييز وتعزيز الاحترام المتبادل والتفاهم" على سبيل المتابعة لمؤتمر المنظمة المعني بمكافحة معاداة السامية وغيرها من أشكال التعصب الذي عقد في قرطبة بإسبانيا في ٧-٨ حزيران/يونيه ٢٠٠٥. وقد دُعي المقرر الخاص باستمرار من قبل مدير مكتب المؤسسات الديمقراطية وحقوق الإنسان، السفير كريستيان ستروغال، للمشاركة بنشاط في هذه المؤتمرات، وبذلك فقد أتاحت له الفرصة لعرض استنتاجاته وملاحظاته.

٧٠- وإلى جانب المشاريع الكبيرة المنفذة من قبل المجتمع المدني، هناك عدد من المبادرات المحلية والمبادرات المتخذة على مستوى القاعدة الشعبية والتي تشكل أيضاً أمثلة على الجهود الرامية إلى مكافحة التمييز الديني. وتمثل مبادرة العمل المشترك بين الأديان من أجل تحقيق السلام في أفريقيا، ومقرها في نيروبي، مبادرة من مبادرات المجتمع المدني وضعتها عدد من التجمعات والمؤسسات الدينية، بما في ذلك الاتحاد اللوثيري العالمي، من أجل تشجيع التسامح وحل النزاعات في المجتمعات التعددية في أفريقيا. ويجري وضع عدد من البرامج في بلدان خارجة من حروب أهلية، بما فيها ليبيريا وموزامبيق ورواندا وسيراليون والسودان وأوغندا. وتبرز الأنشطة التي يشتمل عليها هذا العمل المشترك أهمية إشاعة ثقافة السلام والحوار بين الأديان كخطوة رئيسية في اتجاه التغلب على الصراعات والنهوض بالتنمية في المنطقة.

٧١- وفي عام ٢٠٠٠، أنشأ دونالد ريفز، وهو كاهن أنغليكاني في المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وأيرلندا الشمالية، منظمة غير حكومية تعرف باسم "روح أوروبا" من أجل تشجيع التفاهم بين الإسلام والمسيحية. وقد تم تنظيم عدد من المشاريع ذات الصلة، بما في ذلك اجتماع لقادة المجتمعات المحلية من بانياالوكا في البوسنة والهرسك، عُقد في كاتدرائية كوفانتري في لندن في أيلول/سبتمبر ٢٠٠١. وما برحت هذه المنظمة غير الحكومية تضطلع بمهام مصالحة في عدة مناطق في البوسنة. ومن المبادرات الأخرى التي اتخذتها ما يشمل اجتماع حوار إسلامي - مسيحي شمل ٦٠ منظمة أوروبية وعُقد في البرلمان الأوروبي في بروكسل في كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٣ واجتماع للمصالحة في لبنان عُقد في أيار/مايو ٢٠٠٤.

٧٢- وما برح مركز كاتالونيا التابع لليونسكو يترأس اللجنة المشتركة بين الأديان من أجل التعليم الديني في المدارس، حيث أعد ونشر عدداً من النصوص الإعلامية في هذا الصدد، بما في ذلك الإعلان المعنون "ثقافة دينية لمواطني الغد". كما قام بتقديم الخدمات الاستشارية للصحفيين والأوساط الإعلامية التي تنشر مواد تتعلق بالقضايا الدينية. وأخيراً، شجع المركز إنشاء شبكة المنظمات الكاتالونية للحوار بين الأديان، التي أنشئت في برشلونة في عام ٢٠٠٤.

خامساً - التوصيات

٧٣- يوصي المقرر الخاص بأن يدعو مجلس حقوق الإنسان حكومات الدول الأعضاء إلى مواصلة العمل من أجل تنفيذ إعلان وبرنامج عمل ديربان اللذين ينبغي أن يظلا حجر الزاوية في مكافحة العنصرية والتمييز العنصري وكره الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب.

٧٤- ويدعو المقرر الخاص المجلس إلى أن يطلب من حكومات الدول الأعضاء إبداء وإظهار إرادة والتزام سياسيين حازمين لمكافحة تزايد الكراهية العرقية والدينية. وفي هذا السياق، ينبغي أن تكون الحكومات متيقظة بصفة خاصة لمكافحة الاستغلال السياسي للتمييز وكره الأجانب، ولا سيما التغلغل الإيديولوجي والانتخابي لخطاب العنصرية وكره الأجانب في برامج الأحزاب الديمقراطية، كما ينبغي لها أن تؤكد من جديد وبقوة المبدأ الذي يعتبر أن احترام حقوق الإنسان، بما في ذلك اجتهات جذور ثقافة العنصرية وكره الأجانب والتعصب، يشكل الركيزة الأقوى للأمن القومي والديمقراطية ومن ثم فإنه لا ينبغي أن يتوقف على أي مصلحة إيديولوجية وسياسية.

٧٥- ويدعو المقرر الخاص المجلس لأن يأخذ في الاعتبار الكامل، في سياق التدابير المعتمدة لمكافحة العنصرية والتمييز، الترابط المتزايد بين العرق والأصل الإثني والثقافة والدين الذي يتسم به السياق السياسي والإيديولوجي الراهن، وأن يدعو الدول الأعضاء إلى أن تدمج في سياساتها الوطنية تشجيع الحوار بين الثقافات والأديان وتجنب السياسات والمواقف والتصريحات التي تستلهم مفهوم صراع الحضارات الذي يُحدث الفُرقة والانقسام.

٧٦- ويوصي المقرر الخاص بأن يدعو المجلس الحكومات لأن تتقيد تقيداً كاملاً، في إطار مكافحة العنصرية والكراهية الدينية، بالتزاماتها فيما يتعلق بكل من حرية التعبير وحرية الدين، على النحو المنصوص عليه في الصكوك الدولية ذات الصلة، وبخاصة المواد ١٨ و١٩ و٢٠ من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، وذلك بالنظر إلى ترابط هاتين الحرّيتين وتكاملهما.

٧٧- وبالنظر إلى أن هذه المواد تُقرأ على نحو استقطابي وتصادمي، يود المقرر الخاص أن يُدكر بالتوصية التي قُدّمت إلى المجلس في تقريره الذي أعده بالاشتراك مع المقررة الخاصة المعنية بحرية الدين أو المعتقد (A/HRC/2/3) فيما يتصل بتشجيع التأمل على نحو أعمق في تفسير هذه المواد. وبصفة خاصة، فقد شجع المقرران الخاصان كلاهما اللجنة المعنية بحقوق الإنسان على النظر في إمكانية اعتماد معايير تكميلية بشأن الترابط بين حرية التعبير وحرية الدين وعدم التمييز، وبخاصة من خلال صياغة تعليق عام بشأن المادة ٢٠.

٧٨- ويوصي المقرر الخاص بأن يدعو المجلس الدول الأعضاء إلى الأخذ بنهج إزاء تعزيز الحوار بين الثقافات والحضارات يأخذ في الاعتبار ما يلي:

(أ) الحاجة إلى معاملة مكافحة جميع أشكال تشويه صورة الأديان معاملة متساوية، وبالتالي تجنب تحديد أي ترتيب هرمي لأشكال التمييز، رغم أن حدة هذه الأشكال قد تتفاوت بحسب اعتبارات التاريخ والجغرافيا والثقافة؛

(ب) العمق التاريخي والثقافي لجميع أشكال تشويه صورة الأديان، وبالتالي الحاجة إلى تكملة الاستراتيجيات القانونية باستراتيجية فكرية وأخلاقية فيما يتصل بالعمليات والآليات وأشكال التعبير التي تشكلت منها هذه المظاهر على مر الزمن؛

(ج) الصلة الأساسية بين الطابع الفريد، الروحي والتاريخي والثقافي، لكل شكل من أشكال تشويه صورة الأديان، والطابع العام للأسباب التي تكمن خلف هذه الأشكال؛

(د) هئية الظروف التي تيسر اللقاء والحوار والعمل المشترك بين كل الجماعات ذات التقاليد الدينية والروحية المختلفة من أجل تحقيق الوئام الاجتماعي والسلم وحقوق الإنسان والتنمية ومكافحة جميع أشكال العنصرية والتمييز العنصري وكره الأجانب؛

(هـ) الحاجة إلى إيلاء اهتمام خاص وتوخي اليقظة من أجل الحفاظ على توازن دقيق بين العلمانية واحترام حرية الدين. ويشكل تنامي الثقافة والخطب المناهضة للأديان مصدراً رئيسياً لتشويه صورة جميع الأديان والتمييز ضد المؤمنين بها ومؤيدي فرائضها. وفي هذا السياق، ينبغي للحكومات أن تولي اهتماماً خاصاً لضمان أمن وحماية أماكن العبادة ومراكز الثقافة لجميع الأديان.

٧٩- ويوصي المقرر الخاص بقوة بأن تبدأ ممارسة الحوار بين الثقافات والأديان على المستوى الوطني. وتشكل الجهود الرامية إلى تشجيع التعددية الثقافية والدينية على المستوى المحلي خطوة أولى ضرورية وموثوقة في اتجاه إيجاد حل مستديم لمشكلة تشويه صورة الأديان.

٨٠- ويوصي المقرر الخاص بأن يدعو المجلس الجماعات الدينية والثقافية التي هي ضحية لأشكال تشويه صورة الأديان هذه لأن تعمل ليس فقط على تعزيز الحوار المتعمق بين الثقافات وبين الأديان، بما في ذلك من خلال إنشاء هياكل مشتركة في كل بلد تعيش فيه هذه الجماعات معاً، بل أن تعمل أيضاً على استكشاف العوامل الداخلية في معتقداتها وممارساتها التي يمكن أن تكون قد أسهمت في ظهور أشكال تشويه صورة الأديان هذه.
